كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت، في افتتاح يوم البحث العلميّ في جامعة القدّيس يوسف في ٢ أيّار (مايو) ٢٠١٧ – في قاعة فرانسوا باسيل.

إنّه لمن الواجب بالنسبة إليّ أن أفتتح هذا اليوم من البحث العلميّ الذي أقامته جامعة القدّيس يوسف ونيابة رئاسة الجامعة لشؤون البحث العلميّ، فكما نعلم، الجامعة من دون هذا المجهود ومن دون استراتيجيّة للبحث العلميّ تصبح مثل البيضة الخالية من صفارها الذي يُعتَبَر مصدرًا لحيويّة الجنين ونموّه. ممّا يعني أنّ الأهميّة التي توليها جامعة القدّيس يوسف للبحوث، من حيث الموارد البشريّة، وإقامة المختبرات، والمنشورات، وإعادة التنظيم، وفقًا لخطّة إصلاح وكذلك في ضوء نفقات الميزانيّة، تبيّن أنّنا نتوقّع المزيد من الباحثين والأساتذة الباحثين المتفرّغين. من هذا المنطلق أودّ أن أشكركم على حضوركم بعددٍ كبير في هذا اليوم وأعرب عن امتناني لفريق نيابة رئاسة الجامعة لشؤون البحث العلميّ وعلى وجه الخصوص السيّدة دولا سركيس لتصوّرها لهذا اليوم المخصّص للبحث العلميّ وإنجازها له، وقد أصبح هذا اليوم تقليدًا رائعًا يجب تكراره من جديد وجعله يستمرّ في ظلّ جامعتنا.

لا يسعنا إلا أن نلاحظ العنوان الذي أُعطِي لهذا اليوم : "البحوث في العلوم الإجتماعيّة والإنسانيّة" وهو عنوان يُعيدنا إلى مبدأ واضح يتعلّق بالبحث العلميّ والذي يقول : بما أنّ المعرفة، كنشاط وكنتيجة للعلم، تتناول مواضيع معيّنة، يمكننا الاستقراء والقول إنّ هناك من العلوم بقدر ما هناك مواضيع قابلة للدراسة. وهكذا، نجد علمًا للعناصر الطبيعيّة نطلق عليه اسم الفيزياء، وعلم الموادّ الكيميائيّة (الكيمياء)، وعلم الأجرام السماويّة (علم الفلك)، وعلم الكائنات الحيّة (البيولوجيا)، بالإضافة إلى غيرها من العلوم المُشار إليها بالعلوم الدقيقة المتعدّدة مثل الطبّ، والصيدلة، إلخ. هناك أيضًا العلوم الإنسانيّة والإجتماعيّة التي تدرس الكائن البشريّ في مختلف وجوهه، لا سيّما علم النفس، على أنّه علم يتناول التصرّفات البشريّة، وعلم الروابط الإجتماعيّة بين البشر (علم الإجتماع)، وعلم العلاقة بالسلطة بين البشر (علم السياسة)، وعلم تأريخ الماضي (التاريخ وعلم الآثار)، وعلم الأديان الذي يتناول الوقائع الدينيّة، وعلم الثقافات والحضارات، والجغرافيا، والأنتروبولوجيا (علم الإنسان)، وعلم الجنس، والعلم القانونيّ، والإقتصاد كعلم خاصّ بالإنتاج، إلخ. هذا يعني أنّ العلوم الدقيقة لا تزال ناشطة بالأبحاث والنشر كي تقدّم حلولاً جديدة لمشاكل دائمة، والعلوم

الإنسانيّة والإجتماعيّة، كعلوم متعلّقة بالإنسان والمجتمع، تجهد أكثر فأكثر في احتلال ميدان البحث العلميّ لكي تحدّد المشاكل وتقول كلمتها حول إضطرابات العالم البشريّ والإجتماعيّ الآنيّة. في جامعتنا، بالكاد نستطيع التوصّل إلى رقم يتراوح بين ١٢ و ١٥ في المئة من مجموع المشاريع البحثيّة التي يرعاها مجلس البحوث. ولا أودّ أن أحاول كثيرًا تحديد أسباب هذا الإستياء إن لم نقل هذه الاستقالة. مع أنّ المسألة في غاية الأهميّة : هل لأنّ هناك إنقسام بين العلوم الإجتماعيّة والإنسانيّة بشكلٍ يتعذّر بلورة رؤية شاملة بين الإختصاصات إنطلاقًا من كلّ علم مأخوذ على حدى ؟ هل لأنّ العائد الربحيّ للدراسات في العلوم الإجتماعيّة والإنسانيّة يكاد لا يكون واضحًا وبالتالي يتمّ إهمال هذه الدراسات إلى حدّ ما ؟ أعتقد أنّ الوقت قد حان ليعي المعلّمون والخبراء في العلوم الإجتماعيّة والإنسانيّة هذه المسألة لأنّ الواقع الإنسانيّ والإجتماعيّ اللبنانيّ والعربيّ الذي نعيشه يحتاج إلى التحليل والتشخيص. هناك مواضيع عدّة مهمّة من أجل فهم العمل الإجتماعيّ والإنسانيّ لشعوبنا كأفراد وهي التعدّديّة الثقافيّة والدينيّة، والصراعات التاريخيّة الدينيّة وغير الدينيّة، والمآسي الإنسانيّة المتعدّدة مثل النفي (الذي يُمارَس حتّى أيّامنا هذه وبالقرب منّا) واللاجئين، والفقر في أبعاده المتعدّدة بالإضافة إلى مواضيع أخرى تتعلّق بالإقتصاد والسياسة والأنتروبولوجيا. غي روشيه Guy Rocher وبيار نورو Pierre Noreau من جامعة مونتريال Montréal يقولون لنا إنّ "ما بعد الحداثة التي نعيشها تتميّز بتجزئة البنى الإجتماعيّة والإقتصاديّة وتعدّدها، بتسارع في التغيير، وتحديث للمعلومات، والعولمة ذات الآثار غير المعروفة بعد. فنحن حاليًّا بصدد متغيّر آخر للحضارة في سياقاتها المتعدّدة".

إنّها وظيفة العلوم الإجتماعيّة، لا بل رسالتها، أن تقدّم النظرة الأكثر موضوعيّة بقدر الإمكان حول هذه الوقائع، وهي مؤسّساتيّة ومتحرّكة في آنٍ معًا، من أجل الكشف عنها والتوقّف عندها ضمن منظور نقديّ وللمساهمة في استحواذ إمكانيّات المستقبل بشكلٍ صحيح".

إذا كان هذا اليوم المخصّص للبحث العلميّ سيستخرج بعض الأفكار الأساسيّة حول إطلاق البحث العلميّ في العلوم الإجتماعيّة والإنسانيّة يكون قد حقّق هدفه. لا يجب أن نيأس لأنّ هذه العلوم تحاكي الأثمن، أيّ الإنسان في واقعه الواعد.